بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد سامر القباني

تكريم الإسلام للمرأة ٢

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حمداً لك ربي على نعمائك، وشكراً لك على آلائك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، وأشهد أن مُحَمَّداً ورسوله، صفيه من بين خلقه وحبيبه، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وبعد عباد الله، فإني أوصيكم ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته، وأحذركم ونفسي من عصيانه ومخالفة أمره، وأستفتح بالذي هو خير.

اعلموا أن خير الكلام كلام الله، وأن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وأن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] .

إِلهي إِنْ يَكُن ذَنبِي عَظِيماً ... فَعَفوُكَ يَا إِلَهَ الكَونِ أَعظَمْ

فَمِمَّنْ أَرتَجِي مَولايَ عَطفاً ... وَفَضلُكَ وَاسِعٌ لِلكُلِّ مَغنَمْ

تَرَكتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ وَرَائِي ... وَجِئتُ إِلَيكَ كَي أَحظَى وَأَنعَمْ

فَعَامِلنِي بِلُطفِكَ وَاعفُ عَنِّي ... فَإِنْ تَغضَبْ فَمَنْ يَغفِر وَيَرحَمْ

اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة يا الله، وعمنا جميعاً بفضلك الكبير، اللهم إني أعوذ بك من التكلف لما أعلم، كما أعوذ بك من العجب بما أعلم، وأعوذ بك اللهم من

السلاطة والهذر، كما أعوذ بك من العِيِّ والحَصَر، أعذني ربي من حَصَر وعيٍّ، ومن نفس أعالجها علاجاً.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: بدأنا منذ أسبوعين اثنين بالحديث عن المرأة في الإسلام، وكيف أن أعداء الإسلام منذ القديم وهو يحاربوننا بالمرأة، فيذكرون أو يفترون –من الافتراء– أن الإسلام ازدرى المرأة ولم يعطها حقوقها، وأن الإسلام جهلها فلم يعلمها، ولم يساوي بينها وبين الرجل، وأن الإسلام هو الذي أهان المرأة وانتقصها، ونقلنا لحضراتكم في الأسبوع الماضي والذي قبله كيف كانت المرأة في الجاهلية، فكرمها الإسلام، وكيف كانت المرأة عند أعدائنا الذين يتشدّقون بحقوق المرأة، كيف كانت عندهم عند الفرس والرومان واليونان والهنود والصينين وغيرهم، كيف كانت المرأة في تاريخهم، وكم هي مبتذلة اليوم عندهم، اللهم إلا المرأة الفتية الشابة التي يطمحون من خلال جمالها إلى الوصول إليها، فهم لا يُكرمونها، وإنما يراعون جمالها للوصول إليها بشتى الوسائل، وعلى كل فما يهمنا نحن أن نتثقف في ديننا، وأن نعلم حقيقة المرأة وحقيقة التعامل مع المرأة من خلال الإسلام، والإسلام يتمثل بكتاب الله عز وجل وسنة حبيبنا المصطفى ﷺ، من خلال الإسلام ورسول الإسلام، لا يمكننا أبداً أن نفصل القرآن عن السنة، كما يُنادي به البعض، فيقولون حديث رسول الله ﷺ لا نأخذ به، وإنما نأخذ بالقرآن فقط، وسموا أنفسهم القرآنيين، لأن القرآن غير مصحف ولا مبدل ولا مكذوب عليه، أما السنة ففيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف، وفيها الموضوع، ولذلك درءاً لأي شيء من ذلك لا نأخذ من السنة، وهذه تقليعة قديمة حديثة يجددونها بشكل دائم في كل وقت وحين، والذي يسعى من وراء ذلك أعداء الإسلام، لأنك إذا ألغيت السنة ألغيت الدين، كيف ذلك؟ نحن نصلي في اليوم والليلة خمس صلوات، أين تقرأ هذا في القرآن، لا يوجد آية في القرآن أنه في كل يوم خمس صلوات، يوجد ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ طيب، كيف تعرف كيفية الصلاة؟ لا تعرف، ليست موجودة في القرآن

كيفية الصلاة، أين عدد الركعات في القرآن؟ غير موجود، الظهر أربع ركعات، العصر أربعة، المغرب ثلاثة، العشاء أربعة، الفجر ركعتان، غير موجودة في القرآن، كله من السنة هذا، كيف تعرف مبطلات الصلاة؟ ليست موجودة في القرآن، موجود جزء منها، ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاء﴾ [المائدة: ٦] والباقي كله في السنة، كيف تعرف مبطلات الصيام؟ من السنة، كيف تعرف كيفية الحج؟ من السنة، أين الآية التي تقول أنه يجب أن تطوف سبعة أشواط بالكعبة؟ لا يوجد، هذا غير موجود في القرآن، أن تسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط؟ غير موجود، طيب أين الآية التي تبين أن الزكاة اثنين ونصف بالمائة؟ ليس هناك آية في القرآن، ديننا تسعين بالمائة منه من السنة، والآيات العامة والنصوص العامة عشرة فقط منها جاء في القرآن، لكنها عامة، والقرآن يغنينا ويثرينا دائماً بمعانيه الجليلة، أما التفاصيل كلها جاءت في السنة، فالذي يدعو إلى إلغاء السنة يدعو إلى إلغاء الدين، كل معاملتنا اليومية أخذناها من السنة، ما يَبطل من البيع وما يجوز وما يحرم، كله من السنة، الشركات وأنواعها في السنة، الطلاق والنكاح وأحكامهما في السنة، كل ديننا في السنة، فرسول الإسلام ﷺ هو قدوتنا، ولذلك نأخذ من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، القرآن أمرنا بذلك، ألا يريدون أن نأخذ بالقرآن، القرآن قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] والقرآن قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُم﴾ [الأنفال: ٢٤] والقرآن هو الذي قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم﴾ [آل عمران: ٣١].

ولذلك أريد أن أقف مع حضراتكم على سيرة وهدي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم من خلال أخلاقه وشمائله وأقواله وأفعاله، كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المرأة، أولاً ذكرت لحضراتكم أن الرسول ﷺ قال -في الحديث الصحيح، لا أريد أن أذكر لأني ذكرته سابقاً-: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم

لأهلي)) يعني أنا أريد أن أحكم على شخص خاص بأنه جيد أو غير جيد، ما هو المقياس؟ أنه مِن أفضل الناس أو من أسوء الناس، ما هو المقياس؟ الرسول صلى الله عليه وسلم يَجعل المقياس تعاملنا مع أزواجنا، هل يُوجد تكريم للمرأة أكثر من ذلك؟ خير في اللغة العربية أفعل تفضيل على خلاف القياس، لأن في وزن أفعل، زيدٌ أطول من عمرو، لكن كلمة خير هي بمثابة كلمة أخير، ولكن لم يُسمع من العربي أخير، بل سمع خير، ((خيركم)) أي أفضلكم، قال: ((خيركم خيركم لأهله)) أي لزوجته، لأن الأهل إذا ورد في حديث رسول الله ﷺ فهو الزوجة، المقياس الزوجة يا رجل، بأفضليتك أو عدم أفضليتك، بخيريتك أو عدم خيريتك، تعاملك مع زوجتك، يقول عليه الصلاة والسلام: ((وأنا خيركم لأهلي)) والحديث الآخر الذي رويته لحضرتكم الذي أخرجه الترمذي وابن حبان، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، يقول ﷺ: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)) جعل الخلق جزءاً من الإيمان، وقال عليه الصلاة والسلام بعدها: ((وخيركم خيركم لنسائهم خلقاً)) خيركم أفضلكم لنسائهم خلقاً، هذا الحديث الثاني، الحديث الثالث قوله ﷺ: ((استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم، ما أكرمهنّ إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ لكلمة الله)) وآخر كلام تحدث به النبي ﷺ قبل أن تفيض روحه الشريفة، وكان رأسه في حجر عائشة، لم يكن رأسه أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا ابنته، كان رأسه في حجر -يعني في حضن- زوجته السيدة عائشة، كان آخر كلام قاله من الدنيا: ((كلها استوصوا بالنساء، عليكم بالصلاة)) ثم قبضت روحه الشريفة ﷺ.

كم الموضوع بالإسلام إذاً له أهمية، أن يكون آخر الكلام من رسول الله ﷺ قبل موته: ((استوصوا بالنساء، عليكم بالصلاة)) كم هي مهمة الصلاة، ثم فاضت روحه الشريفة ﷺ؟ الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه مسلم أيضاً، عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: ((لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً)) وهي من فعل فرك يفرك

أي أبغض يبغض، أي لا يبغض مؤمن مؤمنة، أي لا يبغض زوج زوجته، ((إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)) [إذا لم يعجبه شيء منها لكن لديها أخلاق كثيرة حسنة].

السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها تقول في الحديث الذي أخرجه النسائي وأحمد وابن حبان، تقول السيدة عائشة ﵂: ((والله -تقسم- ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأةً قط ولا خادماً)) [ما مد سيدنا الرسول ﷺ يده على المرأة أبداً] ((ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأةً قط ولا خادماً، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً)).

أيضاً الحديث الذي رواه عبد الله بن زمعة -وهو في البخاري ومسلم- يقول فيه قال رسول الله ﷺ -وهو غاضب يتكلم بغضب-: ((يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد ولعله يضاجعها من آخر يومه)) يعمد أحدكم يضرب امرأته أو يجلد امرأته جلد العبد، ألا يستحي من الله؟ ثم يضاجعها من آخر يومه؟.

نهانا رسول الله ﷺ عن الإساءة للمرأة، وأمرنا بتكريم المرأة، وهذا حاله ﷺ، في البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سُئلت: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته؟ [قالوا لها: أنت زوجته، نحن نراه في الجامع، وفي البيت لا نراه] كيف كان رسول الله في بيته؟ قالت: (كان رسول الله ﷺ يكون في مهنة أهله) في البيت يكون في خدمة أهله، أي: في خدمة أهل البيت ﷺ، (فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة).

وعند أحمد وأصحاب السنن أيضاً: سئلت السيدة عائشة: كيف كان رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: (كان واحداً من البشر، يحلب شاته)) رسول الله ﷺ في ذلك الوقت قائد الجيش، ورسول الله ﷺ في ذلك الوقت رئيس الدولة، والرسول ﷺ هو النبي المكرم والرسول الأعظم إلى الناس كافة، قال: (يحلب شاته) في بيته، (ويَقُمُّ بيته) أي: يكنس بيته، (ويخصف نعله) أي: يصلح حذاءه (ويخيط ثوبه) أي: يخيط

ثوبه (ويفلي ثوبه) أي: يغسل وينظف ثوبه، هو يغسل، وهو يخيط، وهو يكنس، وهو يحلب الشاة، ﷺ، وهو عمل أهل المنزل وأهل البيت، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: (ما رؤي النبي ﷺ في بيته قط فارغاً) [أي: لا يعقد بدون عمل] ماذا كان يفعل؟ قالت: (إما يخيط ثوباً لأرملةٍ، أو يخصف نعلاً لمسكين).

الموضوع لا يقتصر من رسول الله ﷺ على خدمة أهل بيته، [بل كان يعمل في بيته لغير أهله] إما يَخصف نعلاً لمسكين، أو يخيط ثوباً لأرملة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم ما رُؤي فارغاً قط في البيت.

سُئلت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في البيت؟ -والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عائشة- قالت: (نعم، كان يكون في مهنة أهله، ولقد أرسل إلينا آل بيت أبي بكر مرةً قائمة شاة) [أي أرسلوا لنا ذراع شاة] تقول السيدة عائشة: (فأمسكت وقطع النبي ﷺ، وربما أمسك النبي ﷺ وقطعت أنا) [أي أن رسول الله ﷺ كان يعمل في البيت بتقطع اللحم] وقالت: (كان جُلُّ عمله في البيت الخياطة) تقول السيدة عائشة رضي الله عنها.

أليس هذا من أعمال أهل المنزل؟ رسول الله ﷺ عندما يفعل ذلك بسلوكه وأخلاقه، ألا يعلمنا أن نساعد المرأة وأن نكرمها؟.

اسمحوا لي أن أنقل لكم هذه الأحاديث باختصار ننهي بها الخطبة:

الرسول ﷺ كان يُدللهنَّ، كان يُنادي للسيدة عائشة ويدلّلها، ويقول لها: يا عائشُ، وهذه في اللغة العربية اسمه الترخيم، حذف آخر المنادى على لغة من ينتظر ومن لا ينتظر، يا عائش، يدلعها سيدنا الرسول ﷺ، فَمَرَّة -والحديث في البخاري عن عائشة- قال لها رسول الله ﷺ: ((يا عائشُ، هذا جبريل يُقرئك السلام)) أي: أن سيدنا جبريل عليه السلام يقول للرسول ﷺ: سَلِّم على عائشة، فقال لها رسول الله ﷺ: ((هذا جبريل يقرؤك السلام)) فقالت: (وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى يا رسول الله) [أي: أنت رأيته ولكن أنا لم أره، ينقل لها سلام جبريل

عليه السلام] يؤانس به السيدة عائشة ﵂، يُدللها ويقول لها: يا عائش، وربما قال لها: يا عويش، [لسنا نحن فقط من يدلل نساءنا، وكأن هذا لم يفعله سيدنا مُحَمَّد ﷺ] رسول الله ﷺ هو الذي علمنا، ومنه نأخذ كل هذا.

الترمذي وابن ماجه وأحمد يروون في كتبهم أن رسول الله ﷺ كان يُكرم عائشة فيقول لها: ((يا ابنة الصديق)) ينسبها إلى أبيها، وتقول السيدة عائشة ﵂ – والحديث أخرجه ابن عساكر في بسنده إلى سيدتنا عمرة– قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا خلا بنسائه كرجل من رجالكم، إلا أنه كان أكرم الناس وأحسن الناس خلقاً، وكان ضحاكاً بَسَّاماً) [نحنا منتشر عنا شيب يقوله برات البيت شحرور وجوات البيت دبور وحقيقة إخواننا هذا مرض اجتماعي نحن نكاد بأسئلة الناس إلينا في المجالس لا يكاد يخلو سؤال من امرأة أو من رجل أو في حل خلاف بين زوجين إلا تقول الزوجة يأتي إلى المنزل ويجلس ورا ءالتلفاز بيشغل التلفزيزن لا بدرس ابنه ولا بيسأل شو اخدت دراسة ولا بيسألنا شلونكم بس من عالباب بيسأل وخلص أو بيحط رأسه وبينام ما في مؤانسة من الزوج لزوجته لا يوجد سؤال عن أهل المنزل لا يدرس الأولاد، لا يقوم بأعمال المنزل، لا يضحك مع زوجته وأولاده، لا يلعب معهم عم نتكلم عن ظاهرة إخواننا ماعم أقول هادا الكل مو الكل عم أتكلم عن ظاهرة موجودة والدليل أنها ظاهرة مشكلات زوجية لما نحل الخلافات بيكون هذا الموضوع موضوع رئيسي في المنزل يعني هذا الكلام عم يقوله الناس بالعامي برات البيت شحرور وجوات البيت دبور أنا بسأل هيك هو بيقوله والله ما في منه أخلاقه عالية بيضحكنا، بيآنسنا وبيمزح مين قلك هالكلام؟ زوجته بتقول: ما بيضحك ما بيمزح بيالبيت] السيدة عائشة تقول: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزله كرجل من رجالكم، لكنه كان أحسن الناس خلقاً، وكان ضحاكاً بسَّاماً) هناك ضَاحِك وبَاسِم، وضَحَّاك بَسّام، ما الفرق بينهما؟ صيغة

مبالغة من الضَاحِك ضَحَّاك، من بَاسِم بَسَّام، كثير التبسم كثير الضحك صلى الله عليه وسلم في منزله، كثير الضحك كثير التبسم.

أختم هذه الخطبة بهذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: (اجتمع عند النبي ﷺ نسوة كلهنّ قرشيات) [من قريش: عمته، خالته، نساؤه، ابنته] ليس بينهنّ إلا قرشية، كلهم من قريش، (فجعلن يكثرن عليه الكلام والحديث، ويكثرن عليه السؤال) في حديث برواية مسلم: (حتى علت أصواتهن فوق صوته ﷺ) يحدثنه فيكثرن حديثهن معه، ويكثرن السؤال معه، حتى علت أصواتهن فوق صوته الشريف ﷺ، قال: (فطرق الباب عمر ﷺ، فاستأذن، فقيل: من بالباب؟ فقال: عمر بن الخطاب، قال: فخرجت النسوة كلهن يبتدرن الحجاب) وهربن من أمام النبي ﷺ، فدخل سيدنا عمر ﷺ على رسول الله ﷺ فوجده يضحك ضحكاً كبيراً كثيراً، فقال له سيدنا عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، ما يضحكك؟ قال: ((عجبت من هؤلاء النسوة، استكثرنني من السؤال ومن الحديث، وعلت أصواتهنّ، فلما سمعن صوتك هربن فابتدرن الحجاب)) فقال سيدنا عمر -التفت إلى النساء وهن خلف الحجاب-: (أي عدوات أنفسهن) -وأي أداة نداء للقريب، ويا فلان للبعيد، وأي أداة نداء للقريب، (أي عدوات أنفسهن، تهبنني؟ فرسول الله ﷺ أحق أن تهبنه) فقلن له من وراء الحجاب: (نعم أنت أفظ وأغلظ) يقول الإمام النووي ﷺ في شرح الإمام مسلم: (أفظ وأغلظ) ليست أفعال تفضيل، وإنما صفة، أي أنت فظ غليظ، ويقصدون بذلك ما قاله رسول الله ﷺ عن سيدنا عمر: ((أرحم أمي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأكثرهم حياء عثمان، وأقضاهم -أي أحسنهم علماً بالقضاء- علي، رضي الله عن صحابة رسول الله وآل بيته أجمعين، فقلن له: (نعم أنت أفظ وأغلظ) فقال له رسول الله ﷺ: ((والله يا عمر ما رآك الشيطان سالكاً فجاً وإلا وسلك فجاً آخر)) [أي أن إبليس ليس له سلطاناً عليك] كان

شديداً على نفسه سيدنا عمر ﷺ، فأيام المجاعة يا سيدي كانت تقرقر معدته – يومين لم يأكل– فيقول لها: (قرقري أو لا تقرقري، لن تذوقي السمن حتى تشبع أمة مُحَمَّد ﷺ) كان شديداً على نفسه، رسول الله ﷺ كان مع النساء كما رأينا يستكثرنه ويحدثنه ويكثرن السؤال عليه، وعلت أصواتهن فوق صوته، وهو رسول الله وقائد الجيش في ذلك الوقت، ورئيس الدولة، هذا هو ديننا، وهذا هو حبيبنا المصطفى ﷺ.

استغفروا الله يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.